مفهوم المناعة الاجتماعية المكتسبة من جراء الازمات و الكوارث الطبيعية و الاوبئة
دراسة حالة وباء كورونا

فوزية بوشارب
جامعة الجزائر02 ابو القاسم سعد الله (الجزائر)

The Concept of the Social Immunity Acquired as a Result of Crises, Natural Disasters and Epidemics
Case Study of Corona Pandemic

Fouzia Bouchareb
bouchareb_fouzia@yahoo.fr
University of Algiers2(Algeria)

Receipt date: 17/11/2020; Acceptance date: 07/03/2021; Publishing Date: 31/08/2021

ملخص .اثبتت عدة دراسات و بحوث عن وجود علاقة وطيدة بين الازمات و الكوارث الطبيعية و الاوبئة و بين تبني كل مجتمع لانماط اجتماعية و الثقافية تختلف حسب الخصوصية الثقافية و الاجتماعية و النفسية الاجتماعية لكل كيان اجتماعي.

طابقنا في هذا البحث بين مفهوم المناعة الفيزيولوجية و بين ما اصطلحنا على تسميته بالمناعة الاجتماعية (وفق دلائل تاريخية و معطيات ميدانية)، باستعمال المنهج الوصفي التحليلي، لإثبات ما لبعض الانظمة الاجتماعية من مناعة مكتسبة من جراء سلسلة طويلة، غير منقطعة و مستمرة من الازمات و الكوارث الطبيعية و الاوبئة الفتاكة التي تتسم بها عدة مجتمعات و جماعات دون غيرها من باقي المجتمعات او بدرجة اكثر حدة؛ يعود هذا إلى موقعها الجغرافي او إلى سلسلة من العدوان و الغزو و الاستعمار (نقصا او طمعا في الموارد) او حتى إلى حركات ثورية اجتماعية او سياسية،..و غيرها. مما يحولها إلى مجتمعات مقاومة تتبنى نمط حياة مشبع بالاليات النفسية_الاجتماعية و الاجتماعية و الثقافية.

طابقنا هذا المفهوم على ازمة جائحة وباء كورنا، ووقفنا على مظاهر تفعيل نمط اجتماعي مناعي ذا خصوصية جزائرية.

الكلمات المفتاحية. المناعة الاجتماعية، المناعة الفيزيولوجية، الاليات الدفاعية، العنف الاجتماعي، جائحة كورنا.

Abstract. Many studies have shown the deep relation between crises, natural disasters, epidemics and the adoption of each society a specific social and culture type which differs according to each social, cultural and psychological entity.

Using the descriptive survey, In this research, we matched the concept of physiological immunity with what we termed social immunity (according to historical evidence and field data). This is to show the acquired immunity of some social systems as a result of long and continuous crises, natural disasters and lethal disease which characterizes many societies more than others or which exists in severe form.

This situation is due to whether the geographical situation, several invasions, settlements and colonization (mischief, or shortage in resources), or even to social and political revolution movements.

All what preceded make resistant societies which adopts psychological, social and cultural life style mechanism.

We have contrasted the above mentioned concept on the corona pandemic crisis and we have noticed the activation of a typical immune system having an Algerian specificity.

Keywords . Social immunity, physiological immunity, defensive mechanisms, social violence, corona pandemic.

***corresponding author**

1. مقدمة

عرف المجتمع الجزائري سلسلة من الازمات خلال السنوات الاخيرة الماضية، اتسمت اغلبها بعنف، و اتسمت بدرجة عالية من الحدة اختلفت أسبابه و تداعياته باختلاف طبيعته. امتد هذا العنف مع اختلاف منابعه لسنوات طويلة جدا: الأزمة الاقتصادية لسنة 1986 و ما تبعها من أحداث أكتوبر 1988 و إفرازاتها لسنوات عنف مسلح، فيضانات باب الوادي، زلزال بومرداس، انهيار سعر المحروقات،...الخ؛ و القائمة طويلة حتى اعتدنا ان ننتظر المزيد دائما. و لا نفوّت الإشارة قبل كل تلك الاحداث إلى سلسلة الاستعمارات التي مرت على بلادنا كان اخرها الاستعمار الفرنسي و خلالها سلسلة طويلة من الازمات و الافات و الاوبئة الخطيرة و المميتة؛ إلى أن وصلنا اليوم إلى الحديث عن وباء عالمي يجتاح المعمورة بأسرها، خطير و قاتل، يسمى جائحة كورونا او كوفيد 19.

مرض فيروس كورونا (2019)اختصارا كوفيد 19، يُعرف أيضًا باسم المرض التنفسي الحاد المرتبط بفيروس كورونا المستجد 2019. فالمقطع « كو» يشير إلى « كورونا» ومقطع«في» يشير إلى «فيروس» ومقطع«د» يعني داء بالإنجليزية disease ، أما رقم 19 فيشير إلى العام الذي ظهر فيه هذا المرض. (ويكيبيديا، 2020)

فهل توجد علاقة بين الازمات و الكوارث و **الاوبئة** و بين جميع التدابير و السلوكات و الاحتياطات و ردود الافعال الناتجة عنها أو لا يوجد انعكاس مباشر لها على مختلف سلوكات الافراد في حياتهم اليومية؟ كافتراض أساسي نفترض بوجود العلاقة و الانعكاس المباشر لها. جملة هذه السلوكات و الاتجاهات و التدابير و التصرفات و الاحتياطات، هي ما أطلقنا عليها سلوكات مناعية اجتماعية؛ و نظرا لسلسلة من تراكمات التجارب و الخبرات عبر حقبات تاريخية طويلة تحولت عبر التاريخ الطويل للأمم و المجتمعات المعرضة باستمرار لمثل هذه الازمات إلى مناعة اجتماعية مكتسبة ترسم الشخصية الاجتماعية لكل مجتمع و تميز نظامه الاجتماعي بخصوصية ثقافية و اجتماعية هي بمثابة بصمة تطبع هذه المجتمعات بمميزات خاصة لوحداتها اجتماعية: ترسم دفاعاتها، تنمط سلوكاتها، تؤسس لممارساتها الاجتماعية حتى صارت تاخذ طابع المقدس في المخيال الجمعي لكل مجتمع، يؤسس بقوة نفوذ سلطة التنشئة الاجتماعية التي توجدها، تأطرها و ترعاها، لحماية أفرادها من خطر و عدوان المحيط الخارجي. و يبقى الارتباط الامن من كل مخاطر خارجية هو الارتباط بالأسرة الام و كل ابتعاد عنها يعرض صاحبه لعنف سناتي على ذكره.

إن اهتمام العلوم الاجتماعية بالأمراض و الاوبئة ليس حديثا، لكنه ظهر مع الرواد الاوائل مع بداية عام 1894 و لكن البدايات المهمة كانت مع اليزابيث بلاكويل (1902) و مع جيمس لي (1909) في اهتمامهما بعلم الاجتماع الطبي. قدما العلماء بعدها العديد من التفسيرات منها التفسيرات البيئية التي تربط الامراض و الاوبئة بالطبيعة الجغرافية و بمساحة مكانية و زمانية محددة. تمت إعادة النظر في هذا التفسير الان في ظل عولمة المرض جراء ازمة فيروس كورونا. (ويكيبيديا، 2020)

2 . مفهوم المناعة الفيزيولوجية مقارنة بالمناعة الاجتماعية.

إذا تحدثنا عن المناعة الفيزيولوجية نتحدث عن شبكة معقدة من الخلايا والانسجة والاعضاء التي تمنع مهاجمة الجراثيم مثل البكتيريا والفيروسات والطفيليات، فإذا استطاعت هذه الجراثيم أن تقتحم الجسم، تقوم هذه الشبكة بمهاجمتها قبل أن تتكاثر وتفرز سمومها. و عليه يعتبر الجهاز المناعي منظومة من العمليات الحيوية التي تعمل على حماية العضوية.

يميز جهاز المناعة السليم خلايا الجسم السليمة و انسجته الحيوية وبين كائنات غريبة عنه تسبب المرض او تهدد بقاءه.

والمناعة قسمان: _ مناعة طبيعية أو فطرية موجودة في الكائن الحي منذ الولادة وحتى قبل الولادة خلال المرحلة الجنينية و هي مناعة متوارثة، يرثها الابناء عن الاباء. يتميز نظام المناعة الطبيعية بالعمل بطريقة غير متخصصة، بمعنى أن كل خلية أو جزيء تابع لها يعمل ضد عدد كبير ومتنوع من مسببات المرض ولكن فقط حسب التمييز بين ما هو ذاتي - اي تابع للجسم - أو ما هو جسيم غريب عن الجسم. فضلا عن ذلك فالمناعة الطبيعية لا يوجد لها ذاكرة مناعية يشتمل جهاز المناعة الطبيعية على أربع اليات دفاعية أساسية :حواجز جسدية وكيميائية تمنع أو تؤخر دخول الامراض للجسم أو تكاثرها داخله. هذه الحواجز تبدأ من الجلد والاغشية المخاطية في الجهاز التنفسي والجهاز الهضمي والاعضاء التناسلية والعيون و حرارة الجسم و مستوى الحموضة في المعدة. وعناصر بيوكيميائية ذائبة إضافة إلى المنظومة المتممة و هي مجموعة من بروتينات بلازما الدم و الخلايا البالعة و الالتهاب كرد من ذا.

_ المناعة المكتسبة: مناعة يتم اكتسابها خلال حياة الكائن الحي بعد تعرضه لميكروبات وبكتيريا مسببة مرضه. وخلافا للمناعة الطبيعية التي هي متشابهة عند افراد نوع معين فإن الاستجابة المناعية المكتسبة تختلف من فرد لآخر وفق عامل الحصانة المناعية المكتسبة التي مر بها جسم كل شخص على انفراد، وبحسب الامراض التي تعرض لها خلال حياته. ميزة أخرى تضاف للحصانة المكتسبة ألا وهي القدرة على إنتاج ذاكرة مناعية ، فإذا تمت صابة بالمرض في الجسم اكثر من مرة واحدة، يتم الحفاظ على قدرته على استرجاع الردود في الجسم فتتذكره خلايا الذاكرة المتخصصة له وتعمل على القضاء عليه بسرعة .(ويكيبيديا، 2020)

أما المناعة الاجتماعية فنقصد بها جميع الاليات المكتسبة من سلسلة التجارب العدوانية التي استهدفت في الماضي أي كيان اجتما. تستحضر هذه الاليات من الذاكرة المناعية الجماعية المتوارثة و المكتسبة من خلال التنشئة و التطبيع الاجتماعيين، و التي تكون على شكل مخزون مشبع بالقيم الاجتماعية و الثقافية في تمام جاهزيته لقراءة و صد كل خطر أو عدوان جديد، والتكيف السريع مع الظروف المستجدة، يهدد بقاء أي كيان اجتماعي بما في ذلك وحداته المتمثلة في الافراد و جميع الروابط الاجتماعية القائمة بينهم. تختلف صلابة المناعة الاجتماعية و قوتها من مجتمع لآخر حسب قوة التهديدات و الاخطار التي مرت على تلك المجتمعات و ما تم تفعيله من اليات للتحكم فيها، و التي ستخذ و تعتَمد في الذاكرة الجماعية كنماذج وحيدة لا يمكن الطعن في نجاعتها و تقوم عادة على الاستنجاد بمجموع القيم و العادات و الاتجاهات الخاصة بكل مجتمع؛ و عليه يتسم كل كيان اجتماعية بانفراد خصوصية مناعته الاجتماعية المختلفة حتما عن الآخرين، و هذا ما نراه متطابق مع المناعة الفيولوجية في الذاكرة المناعية و التي تختلف حتما من شخص لآخر حسب تاريخه المرضي.

بالرجوع إ تاريخ مسارات الشعوب و الامم و ميلاد الحضارات و تطورها و بالرجوع إ تأسيس كينونة النظم الاجتماعية و إفرازا لعديد الظواهر و السلوكات الاجتماعية، و نظرا لصمود بعض ا نظمة الاجتماعية و بقاءها متميزة و منفردة بخصائصها عبر مر العصور و ا زمان ،و زمات ، نجد إمانية مطابقة الظاهرة الفيزيولوجية على الظاهرة الاجتماعية قائمة و محققة و بالتالي إمانية المطابقة العلمية بين المناعة الفيزيولوجية و ما أطلقنا على تسميته بالمناعة الاجتماعية. فهل هناك اخطار خارجية تهدد الكيان الاجتماعي مثل ما هو شان الكائن الحي؟ و إن كانت متمثلة لدى الكائن الحي في: ا راثيم، البكتيريا، الفيروسات و الطفيليات، ففيما تتمثل إذن لدى الكيان الاجتماعي و بالأخص المجتمع الجزائري؟.

لقدفرضت الظروف الجغرافية و التاريخية و المناخية على المجتمع الجزائري حياة متقلبة و قاسية، في بيئة عدوانية، وعرة و غير مستقرة و ذات تضاريس متنوعة و شاسعة، مفتوحة المخاطر على كل الجهات. و تبقى لكل منطقة الخصوصية في عنفها الجغرافي.

كوّن الجزائريون في هذه الظروف مجتمعا منغلقا، متكونة نواته الاساسية من نظام اجتماعي تقليدي، مشبع في جوهره برموز العنف التي استدخلها من محيطه العدواني بالأساس. هذا العدوان المتمثل في عنف و عدوان المحيط الفيزيقي (زلازل، أمراض، اوبئة خطيرة و قاتلة، الجراد المهلك للمحاصيل، قلة الامطار، الجفاف، قلة مصادر المياه الصالحة للشرب، قسوة المحيط الطبيعي،...و غيرها).

الى جانب ذلك و نظرا للموقع الجغرافي للجزائر و ثراء خيراتها الطبيعية، كانت دائما محل عدة أطماع و اعتداءات استعمارية. في الوقت الراهن اثقلت الجزائريين مشاكل من طبيعة اخرى: البطالة، انخفاض سعر المحروقات، انهيار سعر الدينار و انعكاساتها على القدرة الشرائية، أزمات دول العالم العربي و الدول المحيطة،اعتداءات الجماعات الإرهابية المسلحة..و غيرها. هذا ما دفع بالجزائريين إلى تشكيل مجتمع مقاوم، منطوي على نفسه، شديد الحساسية لكل ما هو خارجي، متصلب، جامد، ممتنع على كل ما هو جديد، لا يثق إلا لما في متناوله، يشيد بخصوصياته و يضرب عرض الحائط كل انتقاد له. مقاوم لكل تغيير و لكل نقد و حاد الطبع.

افرزت هذه المعطيات ظواهر اجتماعية و نفسية اجتماعية و ثقافية تبدو للملاحظ الخارجي على درجة كبيرة من التعقيد و الغموض والتناقض. و استعصت دراستها على كل باحث عالجها من زاوية خارجية، حيث يقفز طرح التخلف و مشاكله كتفسير جاهز مسبقا لهذه الظواهر. هذا التخلف نتاج سلسلة طويلة من الاستعمار كان اخرها و ابشعها الاستعمار الفرنسي قرابة القرن و نصف القرن؛ لكن و نحن نعيش في قلب هذا المجتمع الضارب بالجذور و الوجود في أحقاب زمنية غابرة، نرى انه كان و لا زال قائما بخصوصياته و تناقضاته بعيدا عن طرح قضية التخلف كحاصل مباشر ناتج عن الاستعمار. تتجلى لنا و نحن نتناول دراسته من الداخل بالملاحظة المباشرة و الملاحظة بالمشاركة، كاداتان نراهما الانجع في دراسة الكثير من الظواهر، حيث مؤشرات العنف بارزة و ظاهرة للعيان لا يختلف فيها اثنان.

إنها ميزة جميع الكوارث والازمات الظرفية ولكنها مع ظرفيتها تشكل سلسلة غير منتهية من الاعتداءات. فهل هناك مجتمع ما لم يتعرض للكوارث الطبيعية والازمات الاجتماعية؟ الجواب سيكون حتما لا. لكن هناك تفاوت في حجم ودرجة التعرض من مجتمع لآخر، إضافة إلى أن هناك مجتمعات عانت من عدة أزمات وكوارث أكثر من غيرها لعدة أسباب؛ مع ذلك استطاعت بعض المجتمعات أن تطور وسائل وأساليب التعامل والتحكم في مختلف الازمات والكوارث التي اعترضتها بفعل تراكم خبراتها مع مرور الزمن و الحقبات التاريخية حتى صارت اكثر دراية وخبرة وتحكما فيها وفي معالجتها، على غرار بعض الامم او ما تسمى بالدول السائرة في طريق النمو، التي بقيت تتخبط في عنف زاد من حدة تخلفها وعجزت عن التحكم علميا وعمليا في أساليب وآليات التعامل معها. وعليه بقيت حبيسة التفسيرات الخرافية وتحتكم إلى الدين كإطار مرجعي تفسيري في أغلب الاحيان واتخذت هذه التفسيرات كمرجعية قوية، مع أن الدين ابدا لم يتعارض مع ضرورة السعي لإيجاد حلولا علمية وعملية ولكن جمدت في شكل تفسيرات لا تخرج عن نطاق العقاب واللعنة الإلهية.

3. الاليات الدفاعية الاجتماعية(النفسية الاجتماعية، الاجتماعية و الثقافية).

هناك مجتمعات و حضارات زالت تدريجيا و لم تبقى إلا اثارها من جراء اعتداءات و كوارث و ازمات، مثلما هو شان حضارة الهنود الحمر في أمريكا، و هناك مجتمعات بقيت صامدة، مجابهة لسلسلة طويلة، غير منتهية من الاعتداءات و الكوارث و الازمات مثل ما هو عليه حال المجتمع الجزائري. و لبقائها قامت بتفعيل جملة من الاليات الدفاعية: النفسية الاجتماعية و الاجتماعية و الثقافية عبر مر التاريخ، تستحضر من تراكم موروث الخبرات التاريخية، تفعل و تختبر حسب طبيعة و حدة

الازمة، يُختزل منها ما لا يصلح و يُعدل ما يتناسب مع كل المستجدات و يُختزل منها ما صار باليا غير مجدي. مع ذلك ترسخت كثير من تلك الاليات في عمق الكيان الاجتماعي حسب كل مجتمع و غرست بفضل التنشئة الاجتماعية العائلية في شخصية لل فرد من أفراد و صارت تشكل خصوصيته و هويته حسب درجة توافقها مع قيمه و معاييره و اتجاهات افراده.

لأبحاث إيفون تيران الى وجود مجابهات ثقافية خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر بين سنوات 1830 و1880 ، ، وركزت دراستها على التعليم، الطب و الدين. و أقرت بناءً على معطيات و وثائق تاريخية استعمارية انه حدثت مجابهات بين ثقافتين مختلفتين: ثقافة تقليدية عربية، إسلامية و بين ثقافة أوروبية، متقدمة، عصرية و مسيحية. لفت انتباهنا في هذه الدراسة امتناع و مقاومة الجزائريين لكل ما هو فرنسي؛ ما دامت الحضارة الاوروبية حضارة متقدمة فلا يوجد من احد يرفض استقبال هذه الحضارة، لكن ما حدث ان كل ثقافة تعتبر نفسها ارفع من الاخرى و لا أحد من الطرفين يبدي رغبة في تبني فكر غريب خاصة إذا كان فكر الغالب.

تقول إيفون تيران انه عندما احتلت فرنسا الجزائر وجدته مجتمع متطور اجدا ومتقدم وما إن استقرت حتى شرعت شن حملة عسكرية تصفية كبيرة ضد المجتمع الجزائري ومؤسساته القضائية والسياسية ومقوماته الثقافية والاجتماعية، محاولة بذلك فرض نفوذا بالقوة العسكرية وذلك باحتلال المدن الكبرى الجزائرية و استعمارا والتصدي للثورات الشعبية الا ان يقظما الشعب في كل أرجاء البلاد، كما استهدفت حملا الشيعة المؤسسة التعليمية بالدرجة الاولى لإيمانها بأهمية هذا القطاع في توعية الشعوب وتفتحه، فقامت دارة الفرنسية بهدم وتدمير كل المدارس الا انت قائمة في ذالك العهد من مساجد وزوايا وكتاتيب، وكل شيء له علاقة بالتعليم ومصادرة أوقاف ونفي العديد من العلماء إلى الخارج، و" تحويل المساجد إلى كنائس وإسطبلات للخيل والدواب وعرضت كل المدن الجزائرية لأخرى لما عرضت له العاصمة. مع ذلك حافظ المجتمع الجزائري على هويته و على مقومات شخصيته فكان مقاوما منيعا و صامدا بفضل ما اصطلحنا على تسميته " اليات المناعة الاجتماعية". من عديد الحقائق التاريخية نقف عند رفض الجزائريين تلقي أي لقاح جلبته الإدارة الاستعمارية خلال تفشي وباء الخوليرا الكوليرا بين سنتي 1850 و 1851 لاعتقاد الجزائريين ان فرنسا جلبت لهم مصل مستخرج من دم النصارى ليخلطوه بدم المسلمين. (Yvonne Turin,1971)

ركز مارك كوت Marc Cote في جل دراساته على تحليل المحيط الطبيعي وهندسته الطبيعية من جبال، صحاري، هضاب وغابات، وكيفية تقسيم الفرد الجزائري لهذا المجال والتعايش معه. تتسم الطبيعة الجزائرية بجبال قاسية ومغلقة، الجفاف، الحرارة، الرطوبة و انتشار المناطق الجبلية والصحراوية وخصوبتها. و هي الخصائص الطبيعية والمناخية للمناطق الجزائرية. حيث تشكل التكوين المجالي في الجزائر من خلال حقبات التاريخ أين نسج المجتمع مع مجاله علاقات معقدة و في كثير من الاحيان دالة.

في العقد الاول من الاستقلال كان هذا المجال سلبي يمثل الصفحة البيضاء التي عليها يسجل التاريخ الخصائص المميزة للمجتمع، وعليه أوجدت هذه التدخلات عدم انسجام مجاله حيث اكتشف البلد تدريجيا أبعاد فضاءه في التنمية و التطور .

يعرف كوت المجال الفيزيائي على انه السند الفيزيائي الذي تسجل عليه كل نشاطات المجتمع، إلا ان هذا المجال ليس محايدا دوما و يتدخل وفق طريقتين، أولا: عن طريق شدة غضب قوى كامنة ، ففي حالة الجزائر تمثل قوى لا يمكن إنكارها من مصادر غذائية، أرض فلاحية، ابار بترولية و غيرها. ثانيا: يتمثل في اختلافات منشا عدة مناطق طبيعية. ففيما يخص الشمال الجزائري الموافق لمجال مستمر، بكثافة سكانية عالية و مجهز، يصفها البعض بانها الجزائر الصالحة او الهامة على عكس صحرائها القاحلة و وجود سلسلة جبلية عالية كانت اثار ذلك كبيرة على تنظيم الحياة البشرية.

إن البنية الهيكلية البيومناخية هي عناصر هامة تحدد الإطار الفيزيقي الذي يستند عليه المجتمع. و مجتمع ما قبل الاستعمار كان منظما سياسيا عن طريق السلطة العثمانية. و كان المجتمع مكون أساسا و منظما على مستوى القبائل و سلطة " أمعة" و الحقوق تختلف دوما من منظمة إلى اخرى. و اثناء الحقبة الاستعمارية توزع السكان على طول السلسلة الجبلية على غرار السهوب، و اتخذ من الجبال كملاجئ أين استطاعوا استصلاح الاراضي و استغلال مصادر المياه؛ اعتبر مجالا امنا تجاه أخطار خارجية مع وجود نظام إنتاج فلاحي من حصد المحاصيل سنويا و تربية المواشي و نسج الصوف. وفي كل هذا يعتبر السوق هو رحم الحياة الريفية و يمثل السوق امتدادا للمجال الريفي. (Marc Cote ,1983) .

تأسس نمط العلاقة مع المجال قبل كل شيء بحياة داخلية عالية جدا، ببناء منازل موجهة نحو الشارع، قرى مغلقة، أرياف، البيوت متراصة و مقنعة وسط منشات أخرى وكانت هذه الاخيرة تعمل على حمايتها. ولدخول بيت وسط باقي البيوت يجب أخذ ممرات ضيقة، صعود سلم و الدوران عدة مرات للعثور على هذا البيت.(Marc Cote ,1983) يقول كوت ان الجبال كانت محل نفور الناس منها ما عدا في الجزائر وفي حوض البحر الابيض المتوسط أين كانت المجال المفضل للسكن والتجمع. (Marc Cote ,1971) في الوقت الراهن نادرا ما نجد البيوت غير محصنة بقضبان حديدية سميكة و غليظة محكمة البناء على جميع منافذ البيت، حتى صارت جميع الشقق و الفيلات الفاخرة تشبه كماشة قفص محكم الإطباق عليها.

و كما شيد البيت الجزائري من طرف الافراد انفسهم فـ يبدوكجمعو عتمرعة تتوسط لله احةحيتجزءا ا المتوسطوا لذي يمثل الجزء الرئيسي في البيت فحوله تطل المنافذ والابواب عليها والاجزاء الاربعة الاخرى لا تتصل فيما بينها إلا عن طريق هذا الفضاء على مستوى الساحة أين تلتقي التحركات الداخلية و أين تطبخ النساء وأين يلعب الاطفال. يلاحظ على السواء في المدن كما في الارياف: الارض عارية، الجدران مسلوخة و المقاعد منخفضة. تبدو هذه المنازل ذات المساحة الضيقة ائها خاضعة لنظام وهذا حسب الانحدار والشمس وأيضا حسب بعض الممارسات الاجتماعية وفق ثنائية متلازمة: آباء، أبناء، داخل خارجي، خاص، عام، نظيف، و... و غيرها.

كل المجال داخل المنزل محتل بعناية وكل المنشات الجزائرية تدير ظهرها للخارج ودوما هي مؤسسة حول مساحة مركزية. تبقى هذه المساحة العنصر المنظم للحياة المنزلية، وكل التحركات تتم من خلالها وهي نشطة بالحركات والتحركات ،" ممملوءة با لوسا ئل"و تبقى العلاقات الاجتماعية الجماعية كبيرة وعظيمة لأن هيمنة الجماعة على الافراد قوية جدا لحماية الخلية العائلية. لكن عندما بنت فرنسا وحتى الجزائر بعد الاستقلال منازل موجهة نحو الخارج حسب النموذج الغربي حل بالجزائريين ضيق شديد.

إن نمط العلاقة مع المجال_ حيث العلاقات قائمة قبل كل شيء على حياة داخلية عالية جدا ونمط تنظيم مجالي_ جعل منه مجالا منغلقا، مندمجا و سلمي. نمط مهيكل حيث الحدود الفاصلة تنتقل عن طريق وحدة المجتمع الإسلامي. و المجال النسائي مخالف ومعاكس للمجال الرجالي، هذا الاخير له مجال مفتوح، يتميز بالإقناع اكثر من العمل والنشاط، و يتميز بروح التضامن عن روح المبادرة.

أولى كوت Cote أهمية خاصة لدراسة ساحة المنزل او البيت كمنشئة من المنشات الجزائرية و التي تتميز بالاهمية البالغة و بها حركية نشطة من الحياة النسائية والانثوية، فهي المكان الجيومتري للمنزل وللعائلة وحسب تعبير كوت مجالا مقدسا مفتوحا على السماء .

كما أن إبراز الانتماء للعائلة و"للدوار" وللقبيلة، هي ميزة أي جزائري عند استجوابه فإضافة إلى كينونته فهو عنصر من الجماعة، ينتمي إليها في مكان معين ومحدد وأيضا ينتمي إلى مجتمع إنساني: فالخلية الاساسية للمجتمع الجزائري هي الجماعة والعائلة تلعب به دورا هاما و اساسيا (Marc Cote , 1983).

إن المجتمع الجزائري مؤسس على نظام علائقي فيما بين الافراد اكثر منه على العلاقة مع المجال، كما يتميز بتماسك اجتماعي عالي و منظم حسب وحدة سلمية عالية، و يتميز بالمرونة مع كثرة التحرك و الحركة، تقسم و تحدد المهام بين الرجال و النساء (Marc Cote ,1979).

إلى جانب كوت Cote اهتم كاميلري Carmel Camilleri بدراسة المجتمعات التقليدية. ووجدأن خصائص المجتمعات التقليدية التي حافظت لمدة طويلة عليها تتميز بسلوكات متكررة répétitifs ،وتعمل على إعادة إنتاج الماضي أين الشباب في المجتمعات التقليدية مرتبطون جدا بالقيم العائلية حيث تعدل الثقافة التقليدية وتصقل نظرة الإنسان نحو الخارج.

و يطرح ايضا عدوان ما يسميه بالمحيط الطبيعي من المشاكل الفلاحية، النمو الديموغرافي، الكوارث الطبيعية، المجاعة، الجفاف،... وغيرها، أثر كل ذلك على الحياة الاجتماعية التقليدية. فظهر التمايز بين" الداخل والخارج" للوسط العائلي خوفا من الخارج الذي يتسم بالعدوانية، و صارت للعائلة مكانة خاصة وهامة في المجتمعات التقليدية، و لأنها تمثل الداخل الآمن كانت الحياة داخل العائلة تحوي كل افرادها الذين يخضعون لقوانينها وضوابطها الصارمة، ويقدمون عنها دوما صورة ايجابية للأجانب. وهي إحدى المركبات الهامة و الاساسية لقيمة "الشرف". توصلت أبحاثه إ وجودخصائص عامة للأفراد في مجتمعاتالتقليدية. (Carmel Camilleri et Claud Tapia, 1983).

إن المجال النفسي ايضا شاسع وشديد التعقيد، من بين العوامل المؤثرة على ذلك ما اصطلح على تسميته علماء ا جتماع بالموقف الاجتماعي وهو:" الاستعداد العقلي والع اطفي للاستجابة إلى ظاهرة اجتماعية معينة بطريقة خاصة كوصف كونها عدوانية أو ايجابية أو سلبية. الوضع العاطفي والعقلي الايجابي أو السلبي للشخص أو الجماعة بالنسبة إلى ظاهرة اجتماعية معينة".(محمد مصطفى زيدان،1979: 153 154)

4. الية العنف الاجتماعي كخاصية دفاعية اجتماعية جزائرية.

ان الدراسات المطروحة في هذا المجال لشديدة التنوع و أصيلة الطرح. حيث لم تعنى ظاهرة العنف و علاقتها بالأزمات و الكوارث الطبيعية بدراسة العلماء إلا في القرن 19، حين تصاعد بخار ازمات الثورات اهمها الثورة الفرنسية و التي عقبتها عدة مؤلفات عن الحشود و قوتها في فرنسا ثم ألمانيا فالولايات المتحدة الامريكية.

ان المنحى الثقافي في تناول هذه الدراسة يقودنا_ مرورا بدراسة ابن خلدون ، مارك كوت Marc Cote ، اميلري Carmel Camilleri و غيرهم كثيرون _الى دراسة الباحث الجزائري مظهر سليمان الذي اعتبر حكاية الجزائريين مع العنف لا بداية و لا نهاية لها.

لقد تناول الباحثون دراسة ظاهرة العنف من زاويا عديدة، كل تناولها من منظور تخصصه وخلفيته النظرية. برز الاختلاف جليا بين جموع الباحثين الذين نظرُوا لأصل بروز ظاهرة العنف. فمنهم من ربطها بمراحل النمو النفسي في الطفولة المبكرة على المستوى الفردي وانعكاس ذلك على الجماعة فيما بعد كطرح خاص بالمدرسة التحليلية ومختلف التعديلات التي جاء بها المحللون الجدد؛ ومنهم من ربطها بحركة الشعوب ومسار الامم وحركة بناء الحضارات وما أفرزته من تناحر وثورات؛ ومنهم من اعطى تفسيرا نمطيا خاصا يطول كل الوضعيات الإنسانية. يعتقد بعض الباحثين مثل: ارثر جانون وجورج سباتش بأ نجذور

العنف تنبع من الاحباطات المبكرة أو التجارب المؤلمة. (توماس بلاس واخرون، 1990: 53). و منهم من اعتبر العنف كرد فعل طبيعي فيزيولوجي لخبرة فيزيقية صادمة: صدمة كهربائية، اعتداء، كوارث طبيعية، أزمات، أوبئة،... ا.

راى العلماء والباحثين ان مختلف الازمات الاجتماعية والكوارث الطبيعية و الاوبئة، تشكل نوع من العدوان على الإنسان حيث أن كل اعتداء أو عدوان يعتبر من "النتائج المباشرة العامة للإحباط، .... وقد يكون الاعتداء بالطرق البدائية باستعمال القوة البدنية أو باتخاذ مظهر اخر في شكل سب أو هجاء أو غيبة أو نميمة أو ترويج الشائعات. وقد يكون الاعتداء مباشرا على الفرد او الشيء المسبب للإحباط، فإذا عجز الفرد عن الاعتداء المباشر على المصدر الاصلي خوفا من العقاب تحول باعتدائه فانزل بفرد أو شيء آخر بينه وبين المصدر الاصلي شبه " (محمد مصطفى زيدان، 1979: 149)

أما نحن فنعتبر العنف الية من الاليات المناعية الاجتماعية المفعلة لصد عنف او خطر أو عدوان أو اعتداء مهما كانت طبيعته على اي كيان اجتماعي.

إن فتح مدخل لدراسة العنف المترتب عن مختلف الازمات والكوارث الطبيعية و الاوبئة، يقودنا إلى طرح واسع جدا. نسقط في المقام الاول اعتبار العنف ينحصر في القوة، يقودنا هذا الى مقولة ادونيس: " القوة لا تعني العنف " لان القوة تقع في المجال الفيزيولوجي أما العنف فيقع في المجال السلوكي أو النفسي. (توماس بلاس واخرون، 1990: 18)

بالرجوع إلى مختلف ادبيات الدراسة قسمنا العنف المترتب عن الازمات والكوارث الطبيعية و الاوبئة، إلى ثلاثة انواع:

1.4. العنف الفيزيقي او المادي: يعتبر العنف الفيزيقي تظاهرة مباشرة لعنف الوسط المحيط أو إفرازا لأزمة من الازمات. شاطرنا الباحث سليمان مظهر في اعتبار مختلف الازمات والكوارث الطبيعية و الاوبئة، ظاهرة ظرفية ويحصي بعضا منها:"الاعتداءات الظرفية للمحيط الفيزيقي والسياسي: الزلازل، الفيضانات، الجفاف، العدوى، هجوم الحشرات والجراد، القوى الخارجية، استقرار السلطة بصفة اعتباطية، انجرافات ... ".(Slimane Medhar, 1999: 13)

لا يفوتنا في هذا الصدد أن نقف عند فكر ابن خلدون حيث ربط بين العنف والاستيلاء على السلطة في الاطوار الخمسة لقيام الدولة. (ابن خلدون عبد الرحمن،1991)

2.4. العنف الاجتماعي: إن عنف المحيط الفيزيقي والازمات قائم وجلي، إما يشعر به الافراد بشكل مباشر ملموس (شأن الزلازل، البراكين، الفيضانات...) أو وجود وسيط إعلامي (مؤسسة إعلامية أو أفراد اخرين) يقدم و يصدر الازمة أو الكارثة على هيئة خدمة إعلامية عادة ما يكون من الصعب توخي الموضوعية و التخلي عن الذاتية في عملية النقل، لذا عادة ما تكون ايضا مشبعة بإيديولوجية وتوجهات معينة.

إن العنف المرتبط بالنمط الاول فطري، تلقائي وحيادي على غرار العنف المرتبط بالوساطة الإعلامية فهو عنف موجه، مقصود، هادف وفي بعض الاحيان يكون غير بريء. يقدم روبرت بارك Robert park (1967) وهو احد رواد شرح سوسيولوجية الخبر رؤية تهتم كثيرا بالعناصر الاساسية والخصائص الهامة للخبر: "إن الاخبار تربط حياتنا بوجود الاحداث التي تعبر عنها ... إن الاحداث التي تنقل كاخبار ينبغي أن تكون غير عادية أو على الاقل غير متوقعة. وهي صفات اكثر أهمية من مغزاها الـ فعلي. فالخبر يكتسب قيمة من كونه غير عادي أو غير متوقع بصرف النظر عن اهمية الحدث نفسه ". (حمدي حسن، 1991: 44).

يقول بارك Park: ان الاشياء التي يخشاها الفرد و يامل فيها هي التي تصنع الخبر. و يرى هول Hall (S) (1973) ان الخبر ذاته مسؤول عن إيجاد المعرفة الاجتماعية عبر الزمن (حمدي حسن، 1991: 44)

بقي الافراد طويلا معرضين للأخطار الدورية (زلازل، جفاف، فياضانات، جراد، إجتراف، عدوى،...)، و لم يكن لديهم لمجابهة هذه الافات لوقت طويل إلا الطاقة البشرية، حيث يتطلب عنف المحيط إدخال التبعية كطاقة حيوية سوسيولوجية في

مختلف أنماط الحياة. و هذا هو الدور السوسيولوجي للعنف، حيث يظهر العنف كوجه رئيسي لتفاعلات الافراد الاجتماعية و تظهر اثاره في الإزعاج، القلق و الضيق العام؛ كما يظهر على شكل خلافات مصحوبة أحيانا بالضرب و العراك .

لقد قدّم لنا سليمان مظهر تناولا تحليليا لآليات و مقومات بروز العنف الاجتماعي انطلاقا من عنف المحيط الفيزيقي إذ يقول: "كما يعتبر العنف في الوقت نفسه متلقى فإنه مفعّل، فهو يشكل استمرارية ينطلق من عدوانية المحيط الفيزيقي إلى غاية الممارسات الاجتماعية المعممة للانزعاج أو الضيق." (Medhar Slimane ,1997 : 08)

إذا كانت الاسباب الحقيقية للعنف لها علاقة بعدوانية المحيط الفيزيقي، مضمونه و الياته و أشكاله و انعكاسه الحالي يختلف حسب المجتمعات و شروطه الموضوعية. و نظرا لعدم التحكم في عدوانية المحيط الفيزيقي، اعاد كل مجتمع هيكلة نفسه انطلاقا من العنف لحصر اثار الزلازل و الجفاف و الامراض المعدية..أو على الاقل تخفيفها، تبنى الناس نمط حياة عدوانية مشبعة بآليات عملية(تقديس المحيط الخارجي، سحر، مكر، خداع، احتكار و تخزين، مضاربة...).

يعد تعميم الامان، مصدر عدم الامان الدائم مما يؤدي إلى إختلالات بدون انقطاع و هي ضرورية لبقاء الاليات الدفاعية (التآزر، التعاون). هذه الاليات ليس لها بديل خلال الاوقات العصيبة و خلال وجود الخطر.

إنّ الانعكاسات المحلية و الدولية لهذه الاليات تتمثل في (معاناة، خلافات، حروب، استعمار، استقلال، احتكار، غارات) جرّ خلفها إعادة تنظيم هذا النمط من الحياة مما ادى إلى بروز نوعين من المجتمعات :

- مجتمعات استطاعت تدريجيا أن تعيد تشكيل علاقتها مع المحيط الفيزيقي و خلقت التقنيات الضرورية لاستغلال هذا المحيط و في الوقت نفسه قامت بابتكار التقنيات الاساسية لاستغلاله بتاسيس المؤسسات، القوانين، انماط التكوين، إجراءات العمل الخاصة بتسيير الطاقة و العلاقات الإنسانية للإنتاج الاكثر و الاحسن .
- مجتمعات أخرى حافظت على علاقتها القديمة مع نمط الحياة الموافق لها، و تعايشت معه عن طريق تفعيل عدة اليات دفاعية اجتماعية.

إن شراسة الفاعلون الاجتماعيون مماثلة لشراسة الإطار الفيزيقي الذين يعيشون في كنفه (الزلازل الجفاف، الفيضانات، خطر الجراد و الاوبئة القاتلة...) و من جهة اخرى الوجوه مكفهرة، عابسة، حواجب مقطبة، النظرات حادة مخيفة و التعابير مبتذلة.

إنّ نمط الحياة الموافق لعدوانية المحيط الخارجي يعمل على استدخال العنف و اللاأمن الحذر و اللإطمئنان كعوامل ذاتية ذات صبغة اجتماعية. حيث يصنع المحيط الخارجي الفيزيقي الحياة الاجتماعية للأفراد و للجماعات بصفة منتظمة تحت الخطر و بالتالي يؤثر على حياتهم الاجتماعية .

كحاصل لما سبق أدى هذا حسب الباحث سليمان مظهر إلى ظهور ديناميكية اجتماعية تقليدية قوامها (الخطر، اللاأمن، اللاثقة، التبعية، الخضوع، عدم القدرة على التحكم في الوسائل الخارجية للمؤونة و القوت، اللإطمئنان، الشك، الريبة، عدم الثبات و الانغماس في الحياة الاجتماعية في الجماعات التي تقوم على التضامن و التعاون و نبذ الفردية، حيث تعطى الاولوية للعلاقات الاجتماعية على حساب العمل و الإمتثالية للأعراف. تولي الاهمية للأحداث اليومية كالتمسك بالقيّم و التقاليد و رفض التحوّل و اللامبالاة تجاه المحيط و الحتمية و عدم القدرة تجاه الكوارث الطبيعية و الهزات التي تهّز المجتمع من وقت لآخر(الزلازل، الجفاف، العدوى...)، اللامسؤولية مع عدم القدرة على حل المشاكل الاجتماعية، النظرات مخيفة و مرعبة، المشاعر متقلبة و متعارضة، الكلمات ذات وجهين، الطلبات مملة و التفاعلات الاجتماعية اختيارية. و كلها اليات دفاعية اجتماعية.

3.4.العنف الرمزي: يقول سليمان مظهر" العنف الاجتماعي الرمزي خاصية اجتماعية جزائرية " (Slimane ، 1997 :09 Medhar). فمن خلال ملاحظة السلوكات الاجتماعية اليومية للجزائريين و خلال الاوقات العصيبة حين يهدد المجتمع خطر

عظيم فإن رد الفعل الاجتماعي يوّجه نحو وسائل رمزية: الإتحاد، الوحدة، التعاون، التازر، الدفاع عن الجماعة التي ينتمي إليها، الانغماس في قيّم ثقافية، كرد فعل ضد عدوانية المحيط الخارجي الفيزيقي و عدم استقرار مناخه. أعاد المجتمع تنظيم نفسه مركزا اهتماماته و تصوراته على الاليات النفسية الاجتماعية و الثقافية كطريقة بناء و حياة مفضلة. وعليه افرزت قواعد اجتماعية منصّبة حول السلوكيات و التفاعلات الاجتماعية الرسمية التي تؤسس و تقّر الخضوع، التبعية و الانقياد. لذا يوافق العنف الرمزي حاجة أين يجهد الافراد أنفسهم لإشباعها مع ما يعانون. يرى سليمان مظهر أنّ الفرد يستفيد من تكفّل مؤمّن و في الوقت نفسه عنيفا رمزيا.

يمارس العنف بطريقة رمزية، بارعة و غير مباشرة حيث تتسّم جميع مناحي الحياة بالرقابة الاجتماعية و هي شكل من أشكال العنف الرمزي و كل فرد مراقب و هو موضوع مراقبة.

العنف الرمزي متعدد المعاني و هو عنصر محرك للتفاعلات الاجتماعية يمارس بصفة اوتوماتيكية، لاواعية و لاإرادية و يساهم في تنشيط طريقة الكينونة و التدخل الدائم و يتخذ كضرورة و كسند للديناميكية الاجتماعية، و هو وجهة للتفاعلات و مثير للسلوكات في كل مجالات الحياة و له وظائف على مستوى الاشخاص و الجماعات وعلى مستوى المجتمع ككل.

ينشط العنف المجتمع ككل، فمختلف العدوان الذي يتلقاه الافراد في مجالات الحياة و رد فعلهم الدفاعي يرهقهم و الحماية التي يتلقونها لا تكفيهم ولا تؤمنهم و تغرقهم في سيرورات من السيطرة و الخضوع و التي تلغي حظوظه الذاتية و يبقى على إثرها ضعيفا و رهيفا و تبقى حياته و قوته و تلبية حاجته و دوره و مكانته و مساره الاجتماعي ملك لمحيطه. و عليه يقضي العنف الرمزي على كل محاولة تحوّل في مهدها و يمنع تعميم سيرورات التغيير. يعمّم العنف: الخطر، اللأمن، الصراعات ...وغيرها. و تظهر كلها كسلسلة غير منتهية مُرهقة للافراد و للكيان الاجتماعي. (Slimane Medhar, 1997)

إن تتبع اثار العنف و استكشافها في مختلف مناحي الحياة اليومية للجزائريين وصولا إلى أعلى الممارسات في تولي السلطة تقودنا في هذا الصدد إلى اعتبارها ظاهرة عامة يشترك فيها جميع الجزائريين.

جاءت دراستنا حول ظاهرة "القيل و القال" مكملة لدراسة سليمان مظهر، فقد اعتبرنا "القيل و القال" ثرثرة و كلام خبيث يُجتر في حركية غير منقطعة، يدور حول القضايا و اهتمامات الصية، يخص أشخاص اخرين و يدور حول خصوصياتهم. يتم هذا في إطار نشاط غير رسمي، حذر، متستر عنه و جبان. إن هذا السلوك الشائع و المنتشر في حركية اجتماعية نشطة ما هو إلا تعبير عما في النفس و إشباعا لميل عدواني في الافراد؛ نعتبره شكل من اشكال العنف الرمزي الذي يخدم بصفة رئيسية الرقابة الاجتماعية.(شريفي بوشارب فوزية، 2010)

على غرار هذا الطرح يقف بيير بورديو على نفوذ السلطة التربوية في ممارسة العنف الرمزي حيث يمارس في اطارها لعلاقة نفوذ تعسفي، و هو ترسيخ لتعسف ثقافي يمارس في اطار علاقة اتصال تربوي.(بيير بورديو، 1994)

5. تفعيل الاليات الدفاعية الاجتماعية خلال جائحة كورونا.

يطلعنا التراث السوسيولوجي القديم والمعاصر على العديد من الدراسات والنظريات العلمية التي تفسر علاقة المجتمع بالمرض، وقد ظهر ذلك في اعمال علماء الاجتماع الاوائل، والمعاصرين، الذين اجتهدوا في تفسير العلاقة بين المرض وانتشار الاوبئة، بسوسيولوجية الافراد والجماعات والروابط الاجتماعية والتضامن الاجتماعي والهلع المجتمعي، وما لذلك من تاثير على بنية المجتمع وسيرورتها عند تفشي الاوبئة والامراض الخطيرة.

إنواء الكورونا سيظل مختلفا عن كل الاوبئة و الامراض التي سبقته وسوف تحتفظ الذاكرة الجمعية بأمور كثيرة عن هذا الفيروس و عن هذا الحدث العالمي، خاصة بعد إعلان منظمة الصحة العالمية بانه أصبح وباء عالميا.

دفع هذا الواقع بالافراد والمؤسسات والدول، التركيز على عملية الوقاية منه ولعل اهمها تمثلت في الحجر والعزلة، وهي قضية اجتماعية خالصة. خلق هذا الحدث حالة هستيريا جماعية ، شملت المجتمعات البشرية، رافقتها عدد من الاشاعات والتأويلات والتكهنات، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نلاحظ أن سكان المعمورة جميعا قد أخضعوا لإجازة إجبارية ومكثوا في منازلهم. ولأول مرة يحدث مثل هذا في تاريخ البشرية، ربما أن هذا الوضع قد عاد بنا إلى زمن المجتمعات الاولية السابقة لظهور الصناعة ووسائل المواصلات، حيث امتنع الناس عن كل ما وهبته الحياة الحضرية العصرية: مساجد، اندية، ملاعب رياضية، حدائق عامة ومدارس، جامعات، أسواق عامة،... الخ حتى انه لم يخطر على بال أحد أن تجمد العبادات و الصلوات بالمساجد و بالحرم المكي و لم يكن حتى متوقع ان يفرض حضر التجوال و حضر الخروج من المنزل اي إجراءالتباعد اجتماعيا والعزلة. و حالة نادرة من العزلة أصابت أكثر من ثلثي سكان العالم، سُنّ هذا الإجراء بقوة القانون و ترتب عنه عقوبات قانونية في منتهى الصرامة و الإلزام. فبقيالتواصل الطبيعي متاح فقط في نطاق الاسرة الصغيرة أما على العموم فكان التواصل مع الاخرين يتم بواسطة الوسائل التكنولوجية العصرية (وسائل الاتصال الجماهيرية أو الانترنيت) و كانت الريادة في هذا الشان لوسائل التواصل الاجتماعي.

ترى في هذا الشان أسماء حسن ملكاوي ان جميع أشكال التجمعات البشرية اختفت فجأة خارج إطار الاسرة، وتلاشى المجتمع لصالح تكفاء على الذات، والنوص إ الوحدة صغر في مكوناته، و حالة فردة من تكبيل اسد، زادت الهبة من افة لأشكال التقارب، خالط ذلك شعور باطر و اوف من انتقال العدوى والمرض، لكل ذلك في مجتمعات لطالما قامت على نمط ثقافي عزز الثقة والتقارب،ولما طالت تدابير التباعد والعزلة، فإنه يُخشى أن تصبح التجمعات البشرية اليومية إرثًا من الماضي، ولأننا كائنات اجتماعية بطبعها ظهرت أشكال جديدة. (أسماء حسن ملكاوي،2020)

من المفاهيم التي صارت رائجة في كل انحاء المعمورة: التباعد الاجتماعي، الوباء، التعقيم، الحجر الصحي، العزل المنزلي، اعراض المرض، الحياة الطبيعية وغيرها.

فرضت أزمة كورونا على الجميع التعايش وفق أسلوب "التباعد الاجتماعي"، أي لا زيارات، لا سلام باليد، لا تقبيل و بدت على الجزائريين حالة فزع أو " لع ورونا " شأنهم شأن كل سكان العالم، و تحت طائلة خطر فقدان الحياة أو إكراهات قانونية العقوبات، تحول هذا الفزع بعد طول ترقب و انتظار نهاية الوباء و تحكم العلم فيه بإيجاد اللقاح المناسب، إلى حيرة و توتر و قلق انعكس على كافة مجالات حياة الفرد الجزائري، و كانت لانعكاسات الحجر المنزلي و تجميد كثير من نقاط التشاطات التجارية و غلق المؤسسات التربوية و الجامعية و غيرها، اثار جسيمة على الدخل المادي للعائلات و ما تبعت هذه الاجراءات من انعكاسات سلبية او ايجابية على حياة الفرد و الجماعة على حد سواء. نظرا لعدم انفراج الازمة تبقى الدراسات الميدانية وحدها الكفيلة بإبراز تلك الانعكاسات، في الظرف الراهن و بعد الانفراج.

ما يهمنا من كل ذلك ان كل فرد جزائري مع تطبيق الحجر انطوى إلى كنف أسرته(البقاء في المنزل، استهلاك المؤونة المخزنة و التفنن في تحضير الاطباق، استقبال الرواتب بانتظام بالنسبة للمتقاعدين و للموظفين في سلك الوظيف العمومي، التواصل مع المحيط الخارجي عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرية بدرجة اقل و عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي بدرجة اكبر، ... و غيرها.) و بالموازاة تحقق العزل و التباعد خارج نطاق الاسرة لكن داخل الاسرة الواحدة الامر لم يكن قائما بتاتا. إذن مع بدايات ازمة كورونا استجاب الجميع و تقوقعوا داخل بيوتهم و بالتالي العودة إلى رحم الاسرة و هو المكان الامن بقرارات سياسية و قرارات منظمات صحية دولية.

نلاحظ خلال مجريات هذه الازمة التي ما زالت قائمة، استحضار جملة من الاليات الاجتماعية من مخزون التجارب و السلوكات المتوارثة من ماضي الاجداد و تفعيلها بقوة: التضامن الاجتماعي من طرف الجميع(يبرز لفظيا و فعليا، كالدعاء الحثيث و توزيع الكمامات مجانيا و تقديم المطهر عن طيب خاطر و غيرها، توزيع صور ضحايا الوباء و تبادل الدعوات الصالحة لهم و اشتراك الجميع في نشره عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي ،...)؛ تم استحضار عادة قديمة و المتمثلة في اكل الثوم و كانت هذه العادة حسب ما هو متداول لفظيا ظهرت كعلاج وقائي و فعال خلال انتشار وباء الكوليرا بالجزائر خلال الحقبة الاستعمارية. ادى هذا السلوك إلى ارتفاع كبير لسعر الثوم في الاسواق.

نلاحظ و نحن في قلب أزمة كورونا التي لم تنفرج بعد، مناعة الاسرة الجزائرية و امتناعها و حصانتها عن كل دراسة علمية و ترفعاو انفلاتها من قبضة كل تشريع قانوني (نتحدث عن إجراءات الحضر و العزل على وجه الخصوص) ،و نعتقد فرضا أن جميع الاليات التي ذكرت من بداية المقال تنبع من رحم الخلية الاجتماعية ا م و المتمثلة في ا سرة و فعّلت بشكل واسع خلال ج ائحةكورونا.

6.الخلاصة.

لقد اثبتت عدة دراسات و بحوث وجود علاقة وطيدة بين الازمات و الكوارث الطبيعية والاوبئة و بين ثقافة الشعوب و عاداتها في التعامل مع هذه الازمات و بخاصة وباء كورونا المستجد. انطلقنا في هذه الدراسة من فرض أساسي، حيث اعتبرنا أن لكل مجتمع خاصية و قدرة على تفعيل جملة من الاليات الاجتماعية: النفسية الاجتماعية و الاجتماعية و الثقافية، اطلقنا عليها مصطلح "الاليات المناعية الاجتماعية" لمقاومة الاوبئة كما هو شان الكائن العضوي في مقاومة الامراض. س اهت وسا ئل التواصل الاجتماعي في سرعة رواج الكثير من هذه الاليات و إعادة إحياءا من الذاكرة الجماعية.

إن أزمة كورونا مرتبطة بالزمان و المكان و الاحداث، فرضت في كل أنحاء العالم التباعد بين الناس خوفا من انتقال العدوى، افلتت مع ذلك الاسرة كاستثناء طبيعي من قوانين هذا الإجراء الصارم. نعتبر ا سرة الجزائرية، بناءً على ملاحظاتنا الميدانية ،و بناءً على أدبيات الدراسات السابقة، هي الخلية الاجتماعية ا م المسؤولة على بلورة و تفعيل جميع الاليات المناعية الاجتماعية خلال وقات العصيبة منها جائحة كورونا.

إن العنف الاجتماعي المترتب على الازمات و الكوارث و الاوبئة يتاثر بالمعطى الثقافي. أفرزذا العنف في مجتمعنا: ا لقلق، الخوف، الاضطراب الفزع و الهلع... ا. يحّث العنف على الحذر و ينشط الاليات الدفاعية الجماعية (ا لتعاضد خاء، التعاون) هذه الاخيرة ليست وظيفية إلا في نطاق الجماعات الصغيرة، و خلال الحجر انحصرت هذه الجماعات في الاسرة لا غ.

أمافيما يخص العنف الرمزي فهو اكثر تعقيدا حتى تحوّل مع مرور السنيين و تراكم التجارب و الخبرات المعاشة منظومة معقدة البنية ينشط فيها العنف في المجتمع ككل بصفة الية، لا واعية و لا إرادية و هذا مكمن خطورته و تعقيده و يبقى وجوده مرتبط بعنف و عدوان المحيط الخارجي. يبقى العنف متغيّر متطوّر و متعدد ما دام خطر الازمات و الكوارث الطبيعية و الاوبئة قائما. و في حالة وباء كورونا لم تتضح بعد معالم هذا العنف الرمزي ما دامت نهاية الوباء ما زالت غير واضحة المعالم. و نظرا لعدم انفراج الازمة تبقى الدراسات الميدانية وحدها الكفيلة بإبراز انعكاسات هذا الوباء على جميع مناحي حياة ا لمرة.

References

Bougnoux, Daniel.(1993). sciences de l'information et de la communication : textes essentiels. France : LAROUSSE.

Bourdieu, Pierre. (4199). Symbolic Violence, (translated by Nazeer Jahl), Lebanon: The Arab Cultural Center. .[in Arabic]

Camilleri, Carmel et ALL.(1990).stratégies identitaires. première édition. PARIS : PUF.

Camilleri, Carmel et TAPIA, Claude .(1983). les nouveaux jeunes : la politique ou le bonheur jeunesse de France d'Europe et du tiers monde. France : édition privat.

Camilleri, Carmel.(1973). jeunesse, famille et développement. PARIS : édition centre national de la recherche scientifique.

Cote, Marc.(1971). pays, paysage, paysans d'Algérie. PARIS : édition ONRS.

Cote, Marc.(1983). l'espace algérien : les prémices d'un aménagement. Algérie : OPU.

Cote, Marc.**(** 1979) mutation rurales en Algérie ; le cas des hautes plaines de l'Est. Algérie : OPU.

Gabriel, Tarde. (1989). l'opinion et la foule. Paris : P.U.F .

Hamdi, Hassan. (1992). The news function of the media. Egypt: The Arab Thought House. [in Arabic]

Huisman, Denis. (1983).le dire et le faire. PARIS : édition sedes

Ibn Khaldoun, Abd al-Rahman. (2009). Introduction. Algeria: Dar Al Hoda. Blass, Thomas et al. (1990). Violence and mankind, (Abd al-Hadi Abdel-Rahman, translator). Beirut: Dar Al Taleea. .[in Arabic]

Le Bon, Gustav. (1988). The spirit of the meeting. Translated by Ahmed Fathy Zaghloul Pasha. Algeria: Mouffem Publishing. .[in Arabic]

Malkawi, Asmaa, Hussein. (2020). Coronavirus and Sociology: New Questions. Extracted on November 04, 2020 from http://www.qu.edu.qa/static_file/qu/research/ibn%20khaldon/books/coronavirus-book.pdf [in Arabic]

Medhar, Slimane. (1992). tradition contre développement. ALGER : ANEP.

Medhar, Slimane. (1999). l'échec des systèmes politiques en Algérie. Alger : Thala et chihab éditions.

Medhar, Slimane. (2005). L'Irak miroir des arabes , dossiers Algériens. ALGER : LAPSO éd.

Medhar, Slimane. (2013).*Manuel d'une Algérie à la dérive*. Alger :Thala éd

Medhar, Slimane.(1997).La violence sociale en Algérie. Alger :Thala éd

Nasri, Hani, Yahya (1986). Nervous, not sectarian. Lebanon: Dar Al-Qalam. Wikipedia the free encyclopedia. (2020). immune system. Extracted on 02 November 2020, 12:09 pm. From https://ar.wikipedia.org/wiki. .[in Arabic]

Odeh, Mahmoud (1988). Methods of communication and social change. Beirut: Arab Renaissance House. .[in Arabic]

Sharifi, Bouchareb, and Fawzia. (2010). The psychology of "gossip" is a social psychoanalysis of oral social practices. Dar Hume: Algeria. .[in Arabic]

Stoetzel, Jean. (1963). la psychologie sociale. PARIS : édition FLAMARION.

Turin, Yvonne. (1971). Les affrontements culturels dans l'Algérie coloniale : écoles, médecines, religion. 1830-1880. PARIS :François Maspéro.

Wikipedia the free encyclopedia. (2020). Elizabeth Blackwell. Extracted on August 15, 2020, at 17:07 from https://ar.wikipedia.org/wiki

Zidan, Muhammad, Mustafa. (1979). Glossary of psychological and educational terms. Kingdom of Saudi Arabia: Sunrise House. .[in Arabic]

المراجع

ابن خلدون، عبد الرحمن.(2009). *المقدمة*. الجزائر: دار الهدى .

بلاس، توماس و آخرون.(1990). العنف و الإنسان، (عبد الهادي عبد الرحمن، مترجم). بيروت: دار الطليعة.

بورديو، بيير. (1994). العنف الرمزي، (ترجمة نظير جاهل)، لبنان: المركز الثقافي العربي.

حمدي، حسن. (1992).الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام. مصر: دار الفكر العربي.

زيدان، محمد، مصطفى.(1979). معجم المصطلحات النفسية و التربوية.(ط1). المملكة العربية السعودية: دار الشروق.

شريفي، بوشارب، فوزية.(2010). سيكولوجية " القيل و القال" تحليل نفسي اجتماعي لممارسات اجتماعية شفوية. دار هومه: الجزائر.

عودة، محمود.(1988). أساليب الاتصال و التغير الاجتماعي. بيروت: دار النهضة العربية.

لوبون، غوستاف.(1988). روح الاجتماع. ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا. الجزائر: موفم للنشر .

نصري، هاني، يحيى.(1986). عصبية لا طائفية. لبنان: دار القلم.

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. (2020). *جهاز المناعة*. استخرجت في 02نوفمبر2020، الساعة 09: 12. من https://ar.wikipedia.org/wiki.

ملكاوي، أسماء، حسين. (2020). *كورونا وعلم الاجتماع :أسئلة جديدة*. أُستخرجت في تاريخ 04 نوفمبر، 2020 من http://www.qu.edu.qa/static_file/qu/research/ibn%20khaldon/books/coronavirus-book.pdf

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. (2020). *إليزابيث بلاكويل*. استخرجت في 15 أوت 2020، الساعة 07: 17 من https://ar.wikipedia.org/wiki